مرحلة تحترب فيها عواصم العرب حول شبر ارض على حدودها المشتركة ، وتغض الطرف عن وطن بأسره يغتصبه العدو بكامله · وتملأ ساحات بعضها البعض بالقنابل الموقوتة وعربات الديناميت انتقاما لتصريح او بيان ، وتغض الطرف عن حقوق شعب كاملة يبتلعها البحر الميت تحت مشارف القدس ·

مرحلة وضعت كل شيء في القفص ، قفص الاتهام ، ونصبت كل واحد فوق القوس ، قوس المحكمة · واصبح المجرم هو القاضي والقاضي هو المجرم وتبادل مدعي الدفاع ومدعي النيابة الادوار ·

هي المرحلة الرمادية في عصر الرمال ·

وتحاول ، وانت الثائر والواعد بالتغيير ، ان تقتحم المرحلة ، ان تخرج من اللعبة ، ان تغني خارج السرب ، ان تركض الى امام لتمسك « باللحظة التاريخية » وتصحح مسارها ·· وفجأة تكتشف انك لا تزال تراوح داخل المرحلة ، وانك لم تخرج من اللعبة ، وانك كنت في اناشيدك الشاذة استكمالا سيمفونيا لنغم السرب ، وانك كنت تركض داخل قطار يسير عكس اتجاهك ·

وتكاد تيأس ، واحيانا تيأس بالفعل ، ويسيطر عليك الاحساس بالعدمية ونهاية المطاف ، وبأن الالوان غابت الى غير رجعة ، وان الرمادي سرمدي لا يزول ·

غير انك ، وانت في الوادي المظلم ، تفاجأ كذلك بالسحابة الرمادية وهي تنشق ، لتسطع في لحظة كل اضواء الالوان الغاربة ، مقرونة بهزيم رعد مدو يمزق جدران الواد ويفتت رتابة النقيق الرمادي ·

لحظة ليست ككل اللحظات ، انها اللحظة الخارقة ، غير الوافدة من بدائع الطبيعة الماورائية استجابة لنفوس تاكلها المرض والخوف والحقد ، وانما هي من صنع الرجال على الارض ، من اجل الرجال على الارض ·

اطلالة المطران كبوشي كانت لحظة خارقة ، بل انه هو تلك اللحظة الخارقة ، التي كانت وامثالها ، وعلى مدى التاريخ ، اللحظة المنعطف التي تفصل بين اليأس والامل ، بين الهزيمة والنصر ·

انها لحظة الضوء في ظلام الرمادية وعصر الرمال ·

اي واحد منا كان يتمنى ان يفتدي حريتك بحياته ، ومع ذلك فلقد كنا جميعا، كل فدائي حولنا ، ينظر اليك عبر الافق كرمز للصمود وبطل من ابطال المقاومة، فكيف استطعت يا سيدي وانت الراهب الجليل ان تتحمل كل ما تحملت وان تكون في سجنك اكبر من سجانك ؟ ولانه من الناس ، مثلهم جميعا ، يأبى التصنع واصطياد الكلمة ، فيأتيك الجواب متدفقا بين لسانه وشفتيه حديث قلب لقلب :